أصول تسمية النصرانية والمسيحية في ضوء القرآن الكريم والكتاب المقدس

د. عامر الحافي *

تاريخ وصول البحث: ٢/٦/٢٠٠٨م
تاريخ قبول البحث: ٩/١١/٢٠٠٨م

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى البحث عن أصل تسمية النصرانية والمسيحية في نصوص الكتاب المقدس والآيات القرآنية وبالرجوع إلى الأصول اللغوية والشواهد الشعرية التي كان العرب يستعملونها قبل الإسلام والتفاسير الإسلامية والمسيحية، والبحث في سبب استعمال القرآن لتسمية النصرانية دون المسيحية، والتعرف على ما يتبع كلا من تسميتي النصرانية والمسيحية من أبعاد ودلالات عقدية يمكن أن تسهم في بناء فهم إسلامي يستوعب تطور الفكر الديني المسيحي من ناحية، ويعيد صياغة المفاهيم الأساسية التي تحكم تصوراتنا كمسلمين تجاه المسيحية من ناحية ثانية.

توضح هذه الدراسة الاختلاف وتباين الآراء في أصول تسمية كل من النصرانية والمسيحية عند الكُتَّاب المسلمين والمسحيين، وتسعى لمناقشة كافة الأقوال المطروحة وتحليلها ونقدها بطريقة موضوعية، كما بينت الدراسة العلاقة بين النصارى و"النذيريم" و"شيعة الناصريين" وأضافت رأيا جديدا في هذا الموضوع . وأظهرت أولية تسمية النصرانية في العهد الجديد وإطلاقها على المسيح وأتباعه قبل أن تطلق تسمية المسيحية على أتباع المسيح ﷺ من قبل خصومهم ومن ثمة استعمالها من قبل أتباع المسيح أنفسهم.

Abstract

The aim of this study is to identify the origins of the terms *nasrāniyah* and *masīhiyah* through an examination of Biblical and Qur'anic texts, the linguistic origins of these terms, textual evidence from pre-Islamic poetry, as well as Islamic and Christian commentaries. The study seeks to explain the Qur'an's use of the term *nasrāniyah* rather than the term *masīhiyah* for Christianity. In addition, it attempts to identify the doctrinal dimensions and significations of the above terms in view of what they can contribute to constructing an Islamic understanding which incorporates the evolution of Christian religious thought, while at the same time reformulating the fundamental concepts that govern Muslims' conceptualizations of Christianity.

The study clarifies the various views on the origins of the terms *nasrāniyah* and *masīhiyah* among Muslim and Christian writers and seeks to present an objective discussion, critique and analysis of all such points of view. The study clarifies the relationship between the Nazarenes (*al-nasārā*), the *Nadhīrīm* and the Nazirites while offering a new perspective on this issue. It points out that the first term applied to Christians in the New Testament was "Nazarenes" (based on Christ's having been from Nazareth) and that Christ's followers then came to be referred to by their opponents as "Christians", after which Christ's followers came to apply this term to themselves.

المقدمـــة:

تتجلى أهمية دراسة أسماء الأديان وأصولها من خلال تعرفنا على المعاني والدلالات التي تتضمنها هذه التسميات ومدى علاقتها بالنصوص والمعتقدات الخاصة بتلك الأديان. والمسيحية على وجه الخصوص قد أطلق عليها اسم النصرانية منذ فترة مبكرة، وشاع هذا الاسم بين أتباع الديانة، وأطلقه عليهم من خالطهم من اليهود والعرب قبل الإسلام، ثم استعمله القرآن ومن بعده الكتب والمؤلفات الإسلامية إلى يومنا هذا.

إن ذكر القرآن لأسماء بعض الأديان لا يعني بالضرورة عدم جواز إطلاق غيرها على (ذات القوم)

---

* أستاذ مساعد، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت.

أو عدم وجود ألفاظ مرادفة لها ذات الدلالة!! فاستعمال القران لتسمية المجوسية كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١٧: الحج].

لا ينفي أن للمجوسية أسماء أخرى مثل: الديانة الفارسية، الزرادشتية، ديانة الأفستا.

كما أن عدم ذكر القران لاسم ديانة ما، لا يعني عدم الاعتراف بوجودها أو الإحجام عن استعمال التسمية التي يطلقها أتباعها عليها؛ فالقران لم يذكر مطلقا، اسم الهندوسية أو الكنفشيوسية أو البوذية، وهي أديان أتباعها أكثر بكثير من أتباع اليهودية التي ذكرها القرآن أكثر من أي ديانة أخرى، ولم يفهم أحد من علماء الملل والنحل تحريم استعمال هذه الأسماء.

إن من حق أتباع كل دين أن يطلقوا على أنفسهم الاسم الذي يؤمنون به. والكتابات الإسلامية لم تنكر على أتباع الأديان التسمية التي يختارونها لأنفسهم؛ فالقران استعمل تسمية اليهودية وتسمية بني إسرائيل في خطابه لأتباع ملة موسى عليه السلام؛ وبالرغم من الدلالات المختلفة لاستعمال القرآن لهاتين الكلمتين فإنهما كلتاهما قد استعملت عند أتباع ملة موسى أنفسهم، كما سمى القرآن المجوس بما سموا به أنفسهم، وكتب الملل والنحل أطلقت على أتباع الهندوسية والبوذية وغيرها من الأديان نفس الأسماء التي يطلقونها على أنفسهم ولم يجدوا في ذلك غضاضة ولا خطيئة.

أهم الإشكاليات التي أثارها البحث:

متى أطلق اسم المسيحية على أتباع المسيح عليه السلام؟

هل استعمل المسيح اسماً خاصاً لوصف تعاليمه وأتباعه؟

ما موقف أتباع المسيحية من تسمية النصرانية؟

من أين جاءت تسمية النصرانية والمسيحية؟ ومتى أطلق كل منهما على أتباع المسيح عليه السلام؟

هل تدل تسمية النصرانية على فرقة مخصوصة من أتباع المسيح؟

هل الاختلاف بين تسميتي المسيحية والنصرانية اختلاف في التسمية أم اختلاف في المسمى؟

ما التسمية التي استعملتها المصادر اليهودية في تسمية أتباع المسيح؟

لماذا استعمل القرآن تسمية نصارى لأتباع المسيح ولم يستعمل تسمية المسيحيين؟

لماذا يرفض كثير من المسلمين تسمية المسيحية؟

ما الدلالات التي تترتب على استعمال تسميتي المسيحية والنصرانية؟

يقوم منهج الباحث في هذه الدراسة على استقصاء الإجابات العلمية الموضوعية على هذه الإشكاليات من خلال النصوص الدينية المقدسة في المسيحية (الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد) والقواميس والشروحات المسيحية، وآراء عدد من العلماء والمفكرين المسيحيين، ثم يعرض للنظرة القرآنية للمسألة من خلال تتبع آراء المفسرين في أصل تسمية النصرانية، ثم تحليلها وترجيح الرأي الأقرب إلى الصواب منها .

المبحث الأول
تسمية النصرانية والمسيحية في المصادر المسيحية

المطلب الأول: تسمية النصرانية في العهد الجديد:

جاء اسم يسوع الناصري في تسعة عشر موضعا في العهد الجديد؛ ويشير لوقا إلى أن المسيح عليه السلام دعي (ناصريا) لأن الملاك بشر به أمه مريم في مدينة الناصرة (لوقا ١:٢٦) كما أن يوسف عندما عاد بيسوع وأمه من مصر سكن في مدينة الناصرة "لكي يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصرياً" (متى ٢:٢٣) وقد دعا بطرس المسيح بالناصري (أع ٢:٢٢) وكذلك بولس (أع ٢٦:٩) ويسوع نفسه (أع ٢٢:٨) "أنا يسوع الناصري"(١).

استعملت هذه التسمية (**ناصري**) بين أتباع المسيح وغيرهم كما استعملها المسيح نفسه في الإعلان عن

اسمه كما في رؤيا بولس عندما سأله: "من أنتَ يا سيد فقال: أنا يسوع الناصري"(٢). وهي التسمية التي كتبت على الصليب كما يقول يوحنا (١٩:١٩).

وإذا رجعنا إلى تحليل البشارة التي ذكرها إنجيل متّى وبشر بها الأنبياء قبل مجيء المسيح: "لكي يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصرياً"(٣). فإن ثمة دلالة خاصة تمتاز عن سائر النصوص الإنجيلية التي أشارت إلى تسمية يسوع الناصري، فالمعروف عن متى اهتمامه الشديد بالتأكيد على نبوءات جاءت في العهد القديم. لكن عدم العثور على هذه النبوءة في الأسفار اليهودية المعروفة دفع ببعض الباحثين إلى القول: "لعلّ هذه النبوءة اختلقت لتفسر لقب" الناصري" الذي كان يسوع يعرف به"(٤).

إلا أن قاموس الكتاب المقدس يشير إلى موضع البشارة التي يقصدها (متّى) في العهد القديم فيقول: "وعلى الأرجح أن هذا اللقب الذي لقب به المسيح في (متى ٢:٢٣) يشير إلى النبوة التي يسمى فيها المسيح "نيصر" (נֵצֶר) ومعناه (قضيب) –صولجان- الذي جاء في (اشعيا١: ١١) "ويخرج قضيب من جذع يسي وينبت غصن من أصوله . ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب"(٥).

وعند الرجوع إلى اللغة العبرية نجد كلمة (نيتصر) تعني برعم، شطء (الزرع)، غصين، ذرية(٦)، وفي اللغة السريانية الآرامية (ناصورا) غصن نضر(٧)، والمتمعن في هذه المعاني لكلمة (نيتصر) في ضوء القرآن الكريم يجد إشارة قرآنية لم أجد من أشار إليها قد جاءت في سياق الحديث عن أتباع النبي محمد عليه الصلاة والسلام "ومثلهم في الإنجيل **﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾**[٢٩: الفتح] فمثال أتباع النبي في الإنجيل هم كمثل الزرع الذي أخرج شطأه وهو نفس معنى -الغصن "نيتصر" فهم نيتصريم، وربما حورت هذه اللفظة العبرية في لسان العرب لتصبح ناصريين وذلك حتى تنسجم مع الميزان العربي.

وصف متّى (١٢:٢٠) المسيح "قصبة مرضوضة لا يقصف ولا فتيلة ودخنة لا يطفئ حتى يخرج الحق إلى النصرة". وهنا نجد ثمة علاقة بين كلمة (قصبة) وبين (قضيب أو غصن) فهما يدلان على المسيح (نيتصر).

يذكر قاموس الكتاب المقدس أن الناصرة (נָצְרַת) اسم عبري ربما كان معناه (القضيب) أو (الحارسة) أو (المحروسة) أو (المحبوسة). ذكرت في العهد الجديد تسعا وعشرين مرة(٨).

وهي المدينة التي نشأ فيها المسيح عليه السلام وترعرع (لو ٤:١٦) وقضى فيها القسم الأكبر من حياته (لو ٣:٢٣)، ولذلك لقب المسيح "يسوع الناصري" نسبة إليها (متى ٢١:١١) ولقب تلاميذه بالناصريين.

ويقر الأب جرجس داود بأن أتباع المسيح قد لقبوا بالناصريين ومن بعدهم إلى وقتنا الحاضر(٩). وهذا يؤكد أن عموم المسيحيين لا يرون في إطلاق تسمية النصرانية أي إساءة لهم، ولا يعتبرونها تسمية لفرقة بعينها كما سعى إلى ذلك بعض اللاهوتيين المعاصرين؛ كما هو حال د. إبراهيم بطارسة.

شيعة الناصريين:

جاء في أعمال الرسل (٢٤:٥) نص في غاية الأهمية في مسألة تسمية الديانة المسيحية فقد جاء في الكلام عن شكاية اليهود لبولس أمام الوالي الروماني فيلكس "فإننا إذا وجدنا هذا الرجل مفسداً ومهيِّج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة ومقدام شيعة الناصريين" ويؤكد شيوع هذه التسمية ما جاء على لسان بولس: "ولكنني أقر لك بهذا أنني حسب الطريق الذي يقولون له شيعة هكذا أعبد إله آبائي مؤمناً بكل ما هو مكتوب في الناموس والأنبياء" أعمال: (١٤:٢٤) وهذا أوضح دليل على عدم صحة التفريق بين من أطلق عليهم تسمية نصارى وتسمية مسيحيين؛ لأن بولس نفسه هو من أطلق عليه هذه التسمية .

كما يؤكد هذا النص أن "**شيعة الناصريين**" كانت فرقة

دينية خاصة تماماً مثل شيعة الصدوقيين(١٠) وأنها عرفت قبل تطور اللاهوت المسيحي وظهور الاختلافات فيه.

لا بد من الإشارة إلى فرضية أخرى(١١) تربط بين الناصريين Nazarene أحد أبناء مدينة الناصرة(١٢) و(النذيريم) nazirite الذين عرفوا عند اليهود من القدم وهم الذين وهبوا أنفسهم للرب كما هو الحال مع شمشون (قض ٥:١٣) وصموئيل (اصم ١:١١) ويوحنا المعمدان (لو ١:١٥) وكانوا لا يقصون شعورهم ولا يشربون الخمر، ولا يمسون الموتى، ويقدمون التقدمات للرب. ويذهب الباحث الروسي توكاريف إلى أن ثمة فرضية تقول: "إن الأسطورة عن أصل يسوع وأنه من مدينة الناصرة لم ترد إلا في زمن متأخر ليتم عن طريقها إيجاد تفسير يتعلق باسمه، وقد دعي المسيح وأتباعه أنهم ناصريون (رؤيا: ٢٤:٥) واتهم بولس بكونه (ممثلا للهرطقة الناصرية)" (١٣).

وهذه الفرضية تجعل أصل تسمية النصرانية يعود إلى **النذيريم** (من الفعل العبري ندر)(١٤) وليس إلى مدينة الناصرة، وربما يدعم هذه الفرضية عدم ورود اسم الناصرة في أسفار العهد القديم ولو لمرة واحدة!!

وكوجهة نظر خاصة ترتكز على الآية القرآنية **﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**[٣٥: آل عمران] يمكن إيجاد علاقة بين تسمية أتباع المسيح نصارى (نذيريم) وكون المسيح وأمه أيضا من النذيريم.

فكل من وهب نفسه لله ولحياة الطهارة كالتي كان عليها المسيح فهو من النذيريم وبهذا المعنى تقترب دلالة التسمية هنا مع معنى الخضوع والاستسلام المطلق لله الذي تدل عليه تسمية (الإسلام) وعلى هذا الأساس يمكن أن نفهم قول الحواريين للمسيح **﴿آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**[٥٢: آل عمران].

المطلب الثاني: تسمية المسيحية في العهد الجديد:

يلاحظ الباحث أن الأناجيل الأربعة المعتمدة لم تذكر تسمية المسيحية في زمن المسيح أو على لسان المسيح.

أما تسمية مسيحي في العهد الجديد فقد جاءت كتسمية لأتباع المسيح في ثلاثة مواضيع. أعمال (٢٦:١١). أعمال (٢٨:٢٦). رسالة بطرس الأولى (١٦:٤).

إلا أن الملاحظ عند استقراء العهد الجديد أن المسيح لم يطلق على تعاليمه أو على أتباعه تسمية محددة، وأن تسمية المسيحية قد أطلقها في البداية أعداء المسيح على الذين اتبعوا المسيح عليه السلام، ثم استعملها أتباع المسيح عندما اشتهرت لوصف أنفسهم وإيمانهم المتميز عن إيمان اليهود.

ويذكر الباحث الروسي توكاريف أن كلمة مسيحيين استعملت بداية من النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي فقط للإشارة إلى المؤمنين وأتباع الدين الجديد. وأن أول من لفت الانتباه إلى هذه القضية الهامة هو الأكاديمي د. (يو . فيبير)(١٥).

دعي المؤمنون (بالمسيح) مسيحيين أول مرة في إنطاكية (أع ٢٦:١١) نحو سنة ٤٢ أو٤٣ وفيها تأسست أول كنيسة للأمم(١٦) (اع ١١: ٢٠-٢١) ويرجع أن ذلك اللقب كان في الأول شتيمة (ا بط ٤: ١٦) "إن كان كمسيحي فلا يخجل بل يمجد الله من هذا القبيل" قال المؤرخ تاسيتس (المولود نحو عام ٥٤م) إن تابعي المسيح كانوا سفلة (يعني من الطبقات الدنيا) عاميين وما قال أغريباس لبولس "بقليل تقنعني أن أصير مسيحياً" (أع ٢٨:٢٦). فالراجح أنه أراد أن حسن برهانك كاد يجعلني أرضى بأن أعاب بهذا الاسم(١٧).

إن كلمة مسيحي في اللغة اليونانية: كرستيانوس (christianos)(١٨) وهي من كرستوس (المسيح) (Christus) باللغة اليونانية - هي ترجمة للكلمة العبرانية مشيح (מָשִׁיחַ) التي كانت تستعمل كلقب للملوك اليهود ومن ثمَّ كلقب للملك الموعود))(١٩).

ترد لفظة مسيح ثلاث مرات في العهد الجديد (أع ٢٦:١١؛ ٢٨:٢٦؛ ابط ١٦:٤). إلا أن لفظة "مسيح"

لا تعني "الممسوح بالزيت"، كما هو الحال في اللغة العبرية، بل ترد اسم علم كما في رسائل بولس. كما استعمل تاقيتس (حوليات ١٥: ٤٤) لفظة "كرستيانوس" (مسيحي). وهذا يعني أن الشعب في روما كان يسمّي سنة ستين ميلادية، أتباع "كرستوس" (المسيح): مسيحيين.

لم يأت هذا الاسم من اليهود الذين رفضوا أن يروا في يسوع، المسيحَ (م ش ي ح). بل الأمم هم الذين سمّوا التلاميذ بهذا الاسم، أما اليهود فقد رأوا فيهم (شيعة، مذهب، بدعة) تختلف عن الجماعة اليهودية.

فالاسم "مسيحيون" الذي أطلق في إنطاكية لم يطلق بالعبرية أو بالآرامية(٢٠) بل في اللغة اليونانية، ولذلك لم يجد اليهود الناطقين باللغة اليونانية مشكلة في استعمال تسمية (كرستيانوس) في حق أتباع يسوع الذين يحتقرونهم.

جاء في دائرة المعارف الكتابية: إن المؤمنين بالمسيح "لم يطلقوا على أنفسهم اسم "مسيحيين" إلا مع أغناطيس الإنطاكي في القرن الثاني للميلاد، كما كتب الحاكم الروماني بلليني للإمبراطور تراجان عن أناس قدموا أمامه بتهمة أنهم "مسيحيون"، ومنذ ذلك الوقت أصبح المؤمنون بالمسيح يشتهرون بهذا الاسم"(٢١).

المطلب الثالث: النصرانية والمسيحية اختلاف في التسمية أم المسمى؟

ذهبت بعض الدراسات المسيحية المعاصرة إلى أن النصرانية والمسيحية تسميتان تختلفان في مضمونهما الديني والعقدي وهما وإن أطلق كلاهما على أتباع المسيح إلا أنهما يدلان على "أمتين وكنيستين ودينين وتاريخين لاختلافهم في أمور الدين والتوراة والإنجيل"(٢٢).

والاختلافات بينهم كالاختلاف القائم بين المسيحية واليهودية، أو بين المسيحية والإسلام. لذلك فأنت لا تستطيع أن تسمي المسيحي نصرانيا، ولا النصراني مسيحيا، دون أن تتجنى على التاريخ(٢٣).

ويذهب بعض البحثين المعاصرين إلى أنه "طالما بقيت الدعوة محصورة في فلسطين كانوا يسمون نصارى، فلما انتشرت في سوريا أخذ الناس يسمونهم "مسيحيين"(٢٤).

وفي محاولة لإيجاد تسويغ قرآني لهذه الفرضية يذهب مؤلف كتاب (أتباع المسيح مسيحيون ونصارى) إلى: "أن القرآن الكريم بلفظ النصارى يشير حينا إلى النصارى، وحينا إلى المسيحيين، فإذا مدح القرآن الكريم النصارى وأثنى عليهم عنى بالنصارى النصارى، وإذا ذمهم وندد بشركهم وكفرهم، أو نادى بقتالهم، عنى بالنصارى المسيحيين، والمسيحيون آنذاك هم الروم، والروم في نظر القرآن الكريم، كفار ومشركون، يتخذون المسيح إلها، ويجعلون الله ثلاثة، ولكنهم ليسوا نصارى".

وهذا كلام غير دقيق فالقارئ للقرآن وعلى وجه الخصوص مطلع سورة الروم لن يقتنع بما ذهب إليه بطارسة من كون الروم "كفاراً مشركين" وإنهم غير نصارى فالقرآن تضامن مع الروم وبشر بنصرهم، وسماه نصر الله، واعتبره يوم فرح للمؤمنين (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله).

يعرض بطارسة الاختلافات المفترضة بين النصرانية والمسيحية والتي تتجاوز التسمية إلى المسمى وتعكس دلالات عقدية وفكرية تتجاوز حدود الدين الواحد، ومن أهم هذه الاختلافات.

أن المسيحيين هم الذين آمنوا بالمسيح من الوثنيين (آمنوا بالمسيح واتخذوه إلها، لخلو أذهانهم وتاريخهم من كل خلفية دينية سابقة وكتاب، وهم يقيمون الإنجيل بأحرفه الأربعة من دون التوراة كتابا للحياة(٢٥)، ويقيمون العماد من دون الطهور (الختان)(٢٦).

وأما النصارى فهم أولئك الذين كانوا يراعون الأحكام والشعائر اليهودية وبخاصة شعيرة الختان، كما جاء في أعمال الرسل (٢١:٢٠-٢١).

ويخلص بطارسة إلى أن "النصارى هم أمة من بني إسرائيل آمنوا بالمسيح واتخذوه رسولا وهم يؤمنون بوحدانية الله وأنه لم يلد ولم يولد، وهم يقيمون التوراة والإنجيل(٢٧).

ويستدل على قوله هذا بالآية القرآنية **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ**

﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٦٨: المائدة] ويعقب عليها بقوله "تتحدث (الآية) عن إقامة التوراة من اليهود وإقامة الإنجيل من النصارى وإما أن يكون المخاطب في هذه الآية هم النصارى وحدهم بحجة "أن التاريخ لا يذكر أمة دعت إلى إقامة التوراة والإنجيل معا إلا أمة النصارى"(٢٨).

وهنا يلاحظ أن الباحث الفاضل قد أسقط احتمالا آخر هو أكثر وضوحا في معنى الآية وهو أن المخاطب هم اليهود عموما وليس فئة منهم؛ فإقامتهم للتوراة دون الإنجيل لا تغني عنهم شيئا.

وكما يتضح مدى تغلب النزعة الجدلية للباحث في التفريق بين النصرانية والمسيحية، فالمسيح عليه السلام وبنص الإنجيل يحث على إقامة التوراة بقوله "لا تظنوا أني جئت لانقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لانقض بل لأكمل" (متى ٥:١٧) فهل يعني ذلك أن المسيح كان نصرانيا ولم يكن مسيحيا لأنه دعا أيضا إلى عدم نقض الشريعة!!

فبطارسة يرى أن "مسيحية بولس" هي التي تمثل المسيحية الحقة، أما المسيحية أو المسيحيات الأخرى (النصارى) فهي على حد قوله: "مسيحية مزيفة" فالنصارى هم أعداء بولس وهو الذي وصفهم (بالأخوة الكاذبة) (٢كو ٢٦:١١) وهم "الأخوة الطفيليون الكذابون، الذين دسوا أنفسهم بيننا ليتجسسوا حريتنا" (غلا ٢:٤) وهم "الذين يريدون أن يبدلوا إنجيل المسيح" (غلا ١:٧-٨).

وهم الذين حذر بولس منهم أهل فيليبي قائلا: "احذروا الكلاب. احذروا عمال السوء. احذروا أهل الختان" (فيلبي ٣:٢)(٢٩).

ومن تعاليم النصارى الصلاة ثلاث مرات في اليوم كما هو الحال عند اليهود: عند الصبح وعند الظهر وعند الغروب كما يقول كتاب (الديدسكالية) أو تعليم الرسل: "علينا أن نصلي ثلاث مرات في اليوم" (الكتاب ٣:٨) في حين أن الصلاة عند الرهبان المسيحيين كانت سبع مرات في النهار(٣٠).

وقبلة النصارى هي بيت المقدس، في حين أن قبلة المسيحيين إلى الشرق، ولغة صلاة النصارى هي الآرامية السريانية، ولغة المسيحيين هي اليونانية(٣١) والنصارى يصومون كاليهود حيث يمتنعون عن الطعام من بداية النهار "وأول نهار الصوم هو الوقت الذي يقدر المرء فيه أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأزرق" (التلمود ٥:١، المشنا ١:٢)(٣٢).

ويعطون الزكاة (العشر) ويحجون إلى بيت الله في القدس(٣٣).

المسيحيون يتخذون المسيح إلها ومخلصا ومكملا للشريعة وناسخا لها. كما هو الحال مع الطلاق وتعدد النساء والطهور والوضوء، وتحريم الأطعمة (متّى: ١٩)(٣٤) وأنصار هذه العقيدة المسيحية قد انطلقوا من أورشليم إلى أنطاكية، ومن أنطاكية إلى روما واستقرت هناك برئاسة البابا، خليفة بطرس الرسول(٣٥).

في حين أن النصارى آمنوا بالمسيح واتخذوه رسولا وهم يؤمنون بوحدانية الله.

يزعم بطارسة أن النصارى قد غابوا عن الأنظار بعد صدور البلاغ الروماني، دين الدولة المسيحية عام ٤٢٥، هاجروا هجرة جماعية إلى الجزيرة العربية(٣٦).

ولا شك أن الجزم بأن انتشار المسيحية في الجزيرة العربية يعود إلى ما بعد سنة ٤٢٥م. لا يستند إلى أدلة قوية، كما أن تصوير الجزيرة العربية وكأنها ملجأ للفرق المهرطقة أمر يشوبه شيء من الأغراض النفسية والأيدلوجية!!

يحاول بطارسة أن يجعل كل حديث عن الفرق المبتدعة أو المخالفة لبولس أو المسيحية الرسمية هو حديث عن النصارى وعقائدهم وهذا يوضح مدى انسياق الدكتور بطارسة وراء تصورات مسبقة وافتراضات لا تنسجم والبحث العلمي.

المبحث الثاني
تسمية النصرانية والمسيحية في الكتابات اليهودية

المطلب الأول: تسمية النصرانية في الكتابات اليهودية:

أطلق اليهود على ديانة أتباع المسيح تسمية (הַנַּצְרוּת)(٣٧) وهي كلمة عبرية تعني: النصرانية، وهي نسبة إلى مدينة الناصرة، وتستخدم الكلمة حتى هذا اليوم في الكتابات اليهودية العبرية للدلالة على الديانة المسيحية ويُطلق في اللغة العبرية لفظة (הִתְנַצֵּר)(٣٨) على من تنصر واعتنق تعاليم هذه الديانة.

ذهب بعض الباحثين إلى أن اليهود لم يذكروا في مصادرهم الدينية القديمة اسم (يسوع الناصري) الأمر الذي أدى ببعض المفكرين الغربيين إلى التشكيك بوجود يسوع جملة وتفصيلاً!!

إلا أن (إسرائيل ولفنستون) يقول بأن المسيح قد ذكر في التلمود لكن خشية اليهود من اطلاع المسيحيين على ذلك قد دعاهم إلى إزالته!!

ذكر المسيح في العديد من النصوص التلمودية لكنها لم تشر إلى الاسم نفسه دائما فالاسم الأصلي للمسيح في اللغة العبرية هو (جيشوا هانوتسري) والذي يعني يسوع الناصري، نسبة إلى مدينة الناصرة التي نشأ فيها، وبما أن كلمة " جيشوا" (Joshua) تعني المنقذ أو المخلص، فإن اسم يسوع الأصلي قلما يظهر في الكتب التلمودية، وهكذا فإن التلمود فضل أن يطلق على المسيحيين اسم (نوتسريم) والذي يعني الناصريين، نسبة إلى يسوع الناصري(٣٩)؛ لأن هذه التسمية تبتعد في دلالاتها عن المعاني العقدية الخلاصية التي آمن بها أتباع المسيح ورفضها اليهود.

ولذلك فقد أطلق اليهود على المسيح ﷺ اسم جبشو (jeschu) والكلمة تعني "فاليمح اسمه وذكره" بدلا من اسمه الأصلي (jeschua)(٤٠).

وجاء في عبوداه زاراه: "الناصري هو الذي يتبع تعاليم كاذبة يبتدعها رجل يدعو إلى العبادة اليوم الأول التالي للسبت"(٤١).

وجاء في كتاب (سدر حادوروت) أن "الحاخام الرباني يهوذا كان محبوبا لدى الإمبراطور، وأطلعه على حيل الناصريين قائلا له: إنهم سبب وجود الأمراض المعدية" وبناء على ذلك تحصل على الأمر بقتل كل هؤلاء الناصريين الذين كانوا يسكنون رومية سنة ١٥٥م(٤٢).

المطلب الثاني: تسمية المسيحية في الكتابات اليهودية:

لم يستعمل العهد القديم تسمية المسيحية؛ وذلك لأن هذه الكتابات قد استقرت قبل مجيء المسيح، أما أسم المسيح نفسه فله دلالات كثيرة في التراث الديني اليهودي، فقد جاءت كلمة المسيح في العهد القديم في (٣١) موضع، وقد استعملت بمعانٍ عديدة أهمها الملك كما هو الحال مع شاول (صم الأول ٢٦:٩) وداود (صم الأول ٢٢:٥١).

وجاءَ في (صم الأول ٢:٣٥): "أقيم لنفسي كاهناً أميناً حسب ما بقلبي ونفسي وأبني له بيتاً أميناً فيسير أمام مسيحي كل الأيام".

المبحث الثالث
تسمية النصرانية والمسيحية في المصادر الإسلامية

المطلب الأول: تسمية النصرانية والمسيحية عند العرب:

إن التعرف على التسمية التي كانت تطلق على المسيحية والنصرانية في جزيرة العرب قبل نزول القرآن له أبعاده ودلالاته في استعمال القرآن لتسمية النصرانية.

جاءت تسمية النصارى في وصف أتباع المسيح في الشعر العربي قبل الإسلام ومنه قول: الأسود بن يعفر النهشلي(٤٣):

وجبا نفيع يوم أورد أهله
مكانها ظلت نصارى صيّما(٤٤)

وقول جابر بن حُني التغلبي(٤٥):

وقد زعمت بهراء أن رماحنا
رماح نصارى لا تخوض إلى الدم(٤٦)

وقول صخر الغي(٤٧):

كأن تواليه بالملا
نصارى يساقون لاقوا حنيفا(٤٨)

وقول أمية بن أبى الصلت(٤٩):

صدت كما صد عما لا يحل له
ساقي نصارى قبيل الصبح صوام

تسمى نصارى العرب باسم عبد يسوع وعبد المسيح كما جاءَ في قصة وفد أهل نجران(٥٠). مما يؤكد أن العرب قد عرفوا هذين الاسمين (يسوع، المسيح) قبل الإسلام، ولو أنهم أرادوا الانتساب إلى أي منهما لفعلوا، وهذا دليل على أن التسمية الأمثل في نظرهم كانت هي "النصرانية". ولذلك لا نجد أثرا لاسم المسيحية في التراث العربي قبل الإسلام.

يقول ابن هشام عن نصارى نجران: "ونجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم ﵇ على الإنجيل، أهل فضل، واستقامة على دينهم"(٥١).

وفي قصة سلمان الفارسي أنه أعجب بصلاة النصارى ورغب في دينهم(٥٢).

وهذا يؤكد موضوعية الكتابات الإسلامية ونزاهتها في ذكر محاسن الأقوام والملل الأخرى، فالقرآن الكريم نفسه يرشدنا إلى البدء بالبحث عن الجوانب المشرقة في غيرنا كما في قوله تعالى: **﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾**[٧٥: آل عمران].

وقد جاء في تفسير ابن كثير في قصة وفد أهل نجران أنهم صلوا في مسجد رسول الله ﷺ: ... وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ فقال: رسول الله دعوهم فصلوا إلى المشرق"(٥٣).

وجاء في سيرة ابن اسحق، ما يفيد اعتبار النصرانية كمذهب من مذاهب أتباع المسيح "وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون هو الله ويقولون هو ولد الله ويقولون ثالث ثلاثة تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وكذلك النصرانية فهم يحتجون في قولهم هو الله فإنه كان يحيي الموتى ..."(٥٤).

وفي حديث وهب بن منبه عن أهل نجران: "وعن رجل من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم يقال له فيميون، وأنه كان يعبد الله وحده لا شريك له وأنه كان يتطهر ويصلي ركعتين"(٥٥).

كما يذهب ابن هشام إلى أن قصة الغلام والساحر والملك، التي جاءت في كتب الحديث، قد وقعت في أهل نجران(٥٦). وأنَّ اسم الغلام هو عبد الله بن التامر وأنه كان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحُكمِه(٥٧).

وهم أصحاب الأخدود الذين نزل فيهم القرآن: **﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾** [٤-٨: البروج].

وذو نواس اليهودي هو الذي فعل فيهم ما فعل(٥٨).

المطلب الثاني: تسمية النصرانية في القرآن الكريم وكتب التفسير:

استعمل القرآن تسمية النصارى للدلالة على أتباع المسيح في أربعة عشر موضعا(٥٩): سبع مرات في سورة البقرة، وخمس مرات في سورة المائدة، ومرة واحدة في كلٍّ من سورتي التوبة والحج. كما جاءت لفظة نصرانيٍّ مرة واحة في سورة (آل عمران: ٦٧).

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾[١٤: المائدة].

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ

إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٣٥: البقرة].

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[٨٢: المائدة].

جاء في الكشاف، "النصارى" وهو جمع نصران، يقال: رجل نصران، وامرأة نصرانة، والياء في نصراني للمبالغة، كالتي في أحمري، سموا بذلك؛ لأنهم نصروا المسيح عليه السلام(٦٠).

أو جمع نصراني، مغير عن ناصري، نسبة إلى ناصرة -القرية المعروفة- وقد نسب إليها المسيح عليه السلام؛ لأنه رُبي بها(٦١).

قال الحرالي: جمع نصران فإن كان من النصرة فهو فعلان(٦٢).

قال سيبويه: جمع نصران كالندامى، وقيل: جمع نصرى مثل: مهرى ومهارى، والياء في نصراني للمبالغة كما في أحمري.

سموا بذلك؛ لأنهم نصروا المسيح، أو كانوا معه في قرية يقال لها نصران أو ناصرة، وعلى تقدير أن يكون اسم القرية نصران يحتمل كون الياء للنسبة(٦٣).

وفي التحرير والتنوير: اسم جمع نَصْرى (بفتح فسكون) أو ناصري نسبة إلى الناصرة وهي قرية نشأت فيها مريم أم المسيح عليهما السلام، وقد خرجت مريم من الناصرة قاصدة بيت المقدس فولدت المسيح في بيت لحم، ولذلك كان بنو إسرائيل يدعونه يشوع الناصري أو النَصْري فهذا وجه تسمية أتباعه بالنصارى(٦٤).

وقال الرازي: "النصارى جمع، واحده نصراني، وقيل: نصران بإسقاط الياء، وهذا قول سيبويه. والأنثى نصرانة، كندمان وندمانة. وهو نكرة يعرف بالألف واللام"(٦٥) "وأما النصارى ففي اشتقاق هذا الاسم وجوه أحدها: أن القرية التي كان ينزلها المسيح تسمى ناصرة فنسبوا إليها وهو قول ابن عباس وقتادة وابن جريج، وثانيهما: لتناصرهم فيما بينهم أي لنصرة بعضهم بعضا وثالثها: لأن عيسى عليه السلام قال للحواريين: من أنصاري إلى الله(٦٦).

قال سيبويه: مفرده نصران ونصرانة كندمان وندمانة، وأنشد شاهداً على ذلك قول الشاعر:

فكلتاهما خرَّت وأسجدَ رأسها
كما أسجدت نَصْرانةٌ لم تَحَنَّفِ

قال: ولكن لا يستعمل إلا بياء النسب فيقال: رجل نصرانيّ، وامرأة نصرانية.

وقال الخليل: واحد النصارى نصريّ، وقال الجوهري: ونصران قرية بالشام تنسب إليها النصارى، ويقال ناصرة، وعلى هذا فالياء للنسب(٦٧).

الفرق بين تسمية ناصري ونصراني أن الأولى أطلقت نسبة إلى مدينة الناصرة في حين أن الثانية أطلقت على أتباع المسيح حتى وإن لم يكن من الناصرة. وفي هذا يقول القرطبي:

"قيل سموا بذلك نسبة لقرية تسمى ناصرة، كان ينزلها عيسى عليه السلام فنسب إليها فقيل عيسى الناصري، فلما نسب أصحابه إليه قيل النصارى"(٦٨).

وقال الخليل: "واحد النصارى نصري، كمهرى ومهارى، قيل: وهو منسوب إلى نصرة قرية نزل بها عيسى، وقال قتادة: نسبوا إلى ناصرة وهي قرية نزلوها"(٦٩).

وجاء في تفسير النسفي: "سموا نصارى لأنهم نصروا المسيح"(٧٠).

ونصارى نكرةٌ، ولذلك دخلت عليه أَلْ ووصف بالنكرة في قول الشاعر:

"صَدَّت كما صَدَّ عما لا يحل له
ساقي نصارى قُبيل الفصح صُوَّام

أو لأنهم كانوا يتناصرون، قال الشاعر:

لما رأيت نبطاً أنصاراً
شمرت عن رُكبَتيَ الإزارا
كنتُ لهم من النصارى جارا"(٧١)

وجاء في تفسير ابن كثير لقوله تعالى: **﴿وَلَتَجِدَنَّ**

﴿أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى﴾[٨٢: المائدة] أي الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهاج إنجيله(٧٢).

كما يذكر القرطبي في تفسيره لقوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[١٧٠: الأعراف] قال مجاهد قوله والذين يمسكون بالكتاب من يهود ونصارى إنا لا نضيع أجر المصلحين(٧٣).

والملاحظ أن ما ذهب إليه بعض من المفسرين(٧٤) بقولهم إن أصل تسمية نصارى يعود إلى الفعل نصر، واستدلوا على ذلك بما جاء في سورة (آل عمران، ٥٢). ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٥٢: آل عمران].

وهذا الرأي عليه عدة اعتراضات وهي:

١. أن تسمية نصارى لا يتناسب مع أصل نصر؛ لأنها لو كانت مشتقة منها لكان ينبغي أن تكون أنصار وليس نصارى.
٢. لقد كان المسيح وأتباعه ينطقون باللسان الآرامي والعبراني وليس العربي فكيف يمكن لهم أن يسموا أنفسهم بلغة لا يعرفونها!! .
٣. أنه لو كان نصارى بمعنى أنصار لكان المفرد نصير أو أنصاري وليس نصراني وقد ذكر القران تسمية نصراني في سورة آل عمران ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً﴾[٦٧: آل عمران].

وفي هذا دليل على أن مفرد تسمية نصارى هو نصراني وليس نصير أو أنصاري.

والغريب في الموضوع أنه وبالرغم من قول بعض المفسرين بأن اسم النصارى يعود إلى آية الصف التي تتضمن المدح للنصارى، إلا أن المعنى السلبي لهذه التسمية بقي سائدا بين العديد من الكتابات الإسلامية التي اعتبرتها تسمية وضعية تشير إلى الذين انحرفوا عن رسالة المسيح ﵇ وخرجوا عن الإيمان والتوحيد.

وغالبا ما يتم تسويغ هذا المعنى السلبي لتسمية "النصرانية" من خلال فهمهم لما جاء في آية آل عمران ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً﴾[٦٧: آل عمران].

المطلب الثالث: تسمية المسيحية في كتب التفسير:

لم تذكر كتب التفسير القديمة ولا كتب الفقه أو الحديث أو القواميس اللغوية تسمية المسيحية في وصف أتباع المسيح ﵇ وكذا كتب التاريخ الإسلامية أمثال الطبري والمسعودي وكتاب السير أمثال ابن هشام وابن اسحق، وسبب ذلك يعود إلى أن أتباع المسيح من العرب لم يستعملوا هذه التسمية في وصف أنفسهم إلا في العصر الحديث.

إلا أن المفسرين قد عالجوا تسمية المسيح التي ذكرها القرآن في أحد عشر موضعا وذهبوا في اشتقاق معناها إلى آراء عديدة نعرض أهمها:

يقول الرازي: في إجابته لسؤال عن كون اسم "المسيح" مشتقا أو موضوعا؟

"والجواب فيه قولان:

القول الأول: كما قال أبو عبيدة والليث: أصله بالعبرانية مشيحا، فعربته العرب وغيروا لفظه ... وعلى هذا القول ليس له اشتقاق.

والقول الثاني: أنه مشتق وعليه الأكثرون، ثم ذكروا وجوها.

الأول : قال ابن عباس: إنما سمي مسيحاً؛ لأنه ما كان يمسح بيده ذا عاهة إلا برئ من مرضه.

الثاني: قال أحمد بن يحيي: لأنه كان يمسح الأرض.

الثالث: قال غيره: لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله تعالي.

فعلى هذه الأقوال: هو فعيل بمعنى: فاعل، كرحيم بمعنى راحم.

الرابع: لأنه مسح من الأوزار والآثام.

الخامس: لأنه ما كان في قدمه خمص، فكان ممسوح القدمين.

السادس: لأنه كان ممسوحاً بدهن طاهر مبارك يمسح به الأنبياء ولا يمسح به غيرهم.

السابع : لأنه مسحه جبريل بجناحه وقت ولادته ليكون له ذلك صونا له من مس الشيطان.

الثامن : لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن[٧٥].

"وأصل المسيح الممسوح صرف من مفعول إلى فعيل وسماه الله بذلك لتطهيره إياه من الذنوب، وقيل: مسح من الذنوب والأدناس التي تكون من الآدميين كما يمسح الشيء من الأذى الذي يكون فيه فيطهر منه... وقد زعم بعض الناس أن أصل هذه الكلمة عبرانية أو سريانية مشيحاً فعربت، فقيل: المسيح كما عربت سائر أسماء الأنبياء في القرآن مثل إسماعيل وإسحاق وموسى وعيسى، وقال أبو جعفر وليس ما مثل به من ذلك للمسيح بنظير، وذلك أن إسماعيل وإسحاق وما أشبه ذلك أسماء لا صفات و"المسيح" صفة. وغير جائز أن تخاطب العرب، وغيرها من أجناس الخلق في صفة شيء إلا بمثل ما تفهم عمن خاطبها، ولو كان "المسيح" من غير كلام العرب ولم تكن العرب تعقل معناه ما خوطبت به"[٧٦].

وقد بالغ بعض المفسرين عندما أخذوا على عاتقهم البحث عن اشتقاقات لألفاظ غير عربية في الأساس: (المسيح، النصارى، اليهود ... الخ) ورغم أن بعضهم قد تنبه إلى كون هذه الألفاظ غير عربية إلا أنهم وبسبب عدم وجود الوسائل المختلفة والمتطورة لمعرفة اللغات الأخرى لم يتسنَّ لهم معرفة اشتقاق هذه الألفاظ في سياقها اللغوي، ناهيك عن دراسة تطور دلالاتها وتأثرها بالظروف التاريخية!!.

ولعل أهم الأسباب التي دعت إلى عدم التفات بعض المفسرين لأصول تلك التسميات في اللغات الأخرى هو إضفاء القداسة على اللغة العربية والشعور بكمال اللغة العربية واستيفائها لكل المعاني والدلالات.

ولا شك أن هذه القضية ترتبط بمسالة وجود ألفاظ أعجمية في القرآن والتي اختلف فيها العلماء المسلمون[٧٧].

إن المشكلة في جانب أساسي منها تكمن في تقديس ما لا ينبغي تقديسه فقد يستعمل القرآن ألفاظاً اصطلح الناس على تسميتها ولا يعني مجرد ورودها في القران أنها أصبحت مقدسة ولا يجوز أن تكون من لغة أخرى أو أن نحظر استعمال لفظة أخرى لم يستعملها القرآن. والمشكلة الأخطر والأكثر تعقيداً في مسالة أسماء الأديان تكمن في الخلط بين تسمية الأديان ودلالاتها اللغوية والثقافية في سياقاتها الحضارية الخاصة وبين المواقف العقدية الإطلاقية تجاه تلك الأديان وإتباعها من قبل غيرهم، ومثال على ذلك قول من لم يجز إطلاق أي من تسميتي النصرانية أو المسيحية على أتباع المسيح ﵇ ما لم يؤمنوا برسالة محمد .

"لا شك أن انتساب النصارى إلى المسيح بعد بعثة النبي، ﷺ، انتساب غير صحيح؛ لأنه لو كان صحيحاً لآمنوا بمحمد، ﷺ" كما "لا يصح أن ينتسبوا إليه فيقولوا: إنهم مسيحيون، إذ لو كانوا مسيحيين حقيقة لآمنوا بما بشر به المسيح ابن مريم "[٧٨].

والله ﷻ يقول: **﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾**[١٤: المائدة] فإذا كان الله قد أخذ ميثاقهم على اسم النصرانية أفلا يدل ذلك على أن المسألة أعمق من أن تكون مسألة تسمية وألفاظ، فالإيمان والاتباع والحق والباطل ليس أسماء ولا حروفا فالعبرة كما قال تعالى: **﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾** [٦٢: البقرة] مهما كان اسم الإنسان أو ملته.

في حين أننا نجد كُتَّابا آخرين لم تخل مواقفهم النقدية للعقائد المسيحية من الاعتراف بالآخر "النصارى المخلصون يوقنون كما يوقن عامة متبعي الأديان الأخرى في العالم، أن دينهم حق، وأنه يضمن لهم النجاة والفوز في الدنيا والآخرة، وأنهم يعتقدون أنه دين سماوي وكتابهم المقدس "الإنجيل" وحي من الله"[٧٩].

إن رفض إطلاق تسمية المسيحية على أتباع المسيح عليه السلام وتبرير ذلك بأن تسميتنا لهم بالمسيحية هي إقرار بصحة اعتقادهم واتباعهم للمسيح عليه السلام، يخالف ما جاء في القرآن وكتب التفسير وكتب الملل والنحل التي أطلقت تسمية اليهود على أتباع موسى عليه السلام دون أن يكون لهذه التسمية أي أثر في نقد الأخطاء التي وقعوا فيها وبقيت الكتابات الإسلامية تستخدم تسمية اليهودية التي يعود أصلها إلى يهوذا وهو أحد أبناء يعقوب عليه السلام، وهذا يعني أن كلا من تسميتي المسيحية واليهودية يعود إلى شخصية يقر المسلمون (المسيح ويهوذا) وأن رفض تسمية المسيحية هو رفض لتسمية اليهودية، وحيث أن القرآن قد استعمل تسمية اليهودية فإن استعمال تسمية المسيحية لا يتعارض ومنهج القرآن في التعامل مع الأديان الأخرى .

ذهب بعض الباحثين المسلمين المعاصرين إلى أن النصرانية تنسب إلى أولئك الذين ادعوا نصرة المسيح، أما المسيحية فهي الرسالة التي جاء بها المسيح(٨٠).

وعلى هذا الأساس فإن المسيحية (وفق هذا الرأي) ليست هي النصرانية؛ لأن المسيحية نسبة مباشرة إلى المسيح بينما النصرانية ليست نسبة مباشرة له وإنما هي نسبة إلى النصارى(٨١).

ولذلك نجد الكتّاب المسلمين ما يزالون يستعملون تسمية النصرانية لاعتقادهم بأن تسمية المسيحية هي بمثابة اعتراف وإقرار بصحة نسبة ما يقوله أتباع المسيح إلى المسيح نفسه "المسيحية هي تعاليم المسيح عليه السلام القائمة على التوحيد، بينما يقول النصارى بعقائد لا صلة لها بالمسيح"(٨٢).

في حين أننا نجد بعض الكتّاب المسلمين المعاصرين قبلوا بطريقة أو بأخرى بتسمية المسيحية (كما هو الحال مع الدكتور احمد شلبي) دون أن يدل ذلك على أي تغيير جوهري في مواقفهم العقدية تجاه الديانة المسيحية.

الخاتمة:

من أبرز النتائج التي خلص إليها الباحث بعد دراسته لمسألة "أصول تسمية النصرانية والمسيحية في ضوء القرآن الكريم والكتاب المقدس" ما يأتي:

١. استعمل القرآن أسماء الأديان التي يعرفها العرب لأنه جاء "بلسان عربي مبين "وقد دلت الشواهد الشعرية العربية قبل الإسلام على أن العرب عرفوا النصرانية قبل نزول القرآن بفترة طويلة.

٢. إن إقرار استعمال القرآن لأسماء الأديان سواء النصرانية أو اليهودية أو المجوسية أو الصابئة لا يعني بالضرورة الموافقة على جميع مضامينها العقدية والفكرية، وهذا الخلط بين التسمية وبين القبول بالمواقف العقدية لاتبّاع الديانة الأخرى هو الذي أدى إلى الاعتقاد بعدم جواز استعمال تسمية المسيحية في وصف ديانة أتباع المسيح عليه السلام.

فالقرآن لم يكن هو الذي أنشأ تسمية النصرانية أو اليهودية أو المجوسية أو الصابئة وإنما أقر التسمية التي استعملها أتباع تلك الأديان وفي هذا دليل واضح على موضوعية القرآن في التعامل مع الأديان الأخرى .

٣. يرجح الباحث صحة إطلاق تسمية المسيحية على من خاطبهم القرآن باسم النصارى، نظرا لأنّ هذه التسمية أصبحت علما على كل من ينتسب إلى أتباع المسيح عليه السلام في وقتنا الحاضر ولم يعد استعمال تسمية النصرانية شائعا بينهم.

٤. إعادة النظر في الفهم الشائع الذي يذهب إليه الكثير من المسلمين، بأن أصل تسمية النصرانية مشتق من الفعل (نصر) في اللغة العربية على ضوء فهمهم لقوله تعالى **﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾** وإظهار مدى ضعف هذا الرأي ومجانبته الصواب .

٥. لم تذكر كتب التفسير القديمة ولا كتب الفقه أو الحديث أو القواميس اللغوية تسمية المسيحية في

وصف أتباع المسيح ﵇ وكذا كتب التاريخ الإسلامية، وسبب ذلك يعود إلى أن أتباع المسيح من العرب لم يستعملوا هذه التسمية في وصف أنفسهم إلا في وقت متأخر جدا، وهذا يعود للتأثر بالتسمية الغربية، فأتباع المسيح في الشرق كانوا يسمون أنفسهم نصارى .

٦. إن محاولة اختزال تسمية النصرانية ببعض الفرق المبتدعة في المسيحية لدى بعض الكتاب المسيحيين المعاصرين هي نوع من الهروب والرفض المسوغ علميا للشعور السلبي من قبل بعض المسيحيين والناتج من فرض تسمية النصرانية من قبل بعض المسلمين وعدم قبولهم التسمية بالمسيحية .

٧. إن تسمية المسيحيين بالنصارى ليست تسمية مسيئة إلى المسيحيين كما قد يفهمه بعض المغالين، فإذا كان المسيح ﵇ قد قبل بهذه التسمية لنفسه فلماذا لا يقبلها كل متبع للمسيح؟ !

من أوضح الأدلة التي تؤكد أن القرآن لم يقصد الإساءة إلى أتباع المسيح في استعماله للتسمية الشائعة والوحيدة بين العرب في زمن التنزيل (النصرانية) هو اعتبار النصارى (أهل كتاب) وهذا يجعلهم والمسلمين (أهل القرآن) يتقاربون في أصل الاتباع والامتثال للهداية الربانية. **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[٦٢: البقرة].

٨. ينتقد القرآن النظرة الحرفية والسطحية لتعليق النجاة والفلاح بمجرد التسمي باسم ديانة ما، سواء أكانت النصرانية، أم اليهودية، فالمسألة ليست مسألة أسماء وألقاب بقدر ما هي حقائق ومضامين يعيشها الإنسان على الأرض.

﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[١١١-١١٣: البقرة].

وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

الهوامش:

---

(١) متى (٢:٢٣) (٢٦:٧١) مرقس (١:٢٤) (١٠:٤٧) (١٤:٦٧) (١٦:٦) لوقا (٣٤:٤) (٣٧:١٨) (١٩:٢٤) يوحنا (١٨:٥) (١٨:٧) (١٩:١٩) أعمال (٢٢:٢) (٦:٣) (١٠:٤) (١٤:٦) (٨:٢٢) (٥:٢٤) (٢٦: ٩).

(٢) أعمال (٥:٢٤).

(٣) متى (٢٣:٢).

(٤) كمال الصليبي، **البحث عن يسوع**، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٩م ص٥١.

(٥) **قاموس الكتاب المقدس**، نخبة من الأساتذة، دار الثقافة، القاهرة، ط١١، ١٩٩٧، ص٩٤٧.

(٦) انظر: هوفمان، **قاموس عبري – عربي**، ص٥٦٣ .

(٧) الميزان، **معجم الأصول اللغوية المقارن**، سرياني – عربي، بنيامين حداد، منشورات المجمع العلمي، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٢، ص٢٠١ .

(٨) انظر متى: (٢٣:٢) (١٣:٤) (١١:٢١)، مرقس: (٩:١)، لوقا: (٢٦:١) (٤:٢) (٣٩:٢) (٥١:٢) (١٦:٤)، يوحنا: (٤٥:١، ٤٦)، أعمال: (٣٨:١٠).

(٩) الأب جرجس داود، **أديان العرب قبل الإسلام**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨١، ص٧٣.

(١٠) الصدوقيون فرقة يهودية منقرضة وهي نسبة إلى صدوق الكاهن. انظر: حسن ظاظا، **الفكر الديني اليهودي**، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٩٩٥، ص٢١٤.

(١١) توكاريف، ٤٩٩.

(١٢) منير البعلبكي، **المورد**، قاموس إنكليزي–عربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢١، ١٩٨٧، ص٦٠٦.

(١٣) توكاريف، ص٤٩٩.

(١٤) انظر: هوفمان، **قاموس عبري – عربي**، ص٥٣٣.

(١٥) سيرغي أ. توكاريف، **الأديان في تاريخ الشعوب**، ترجمة: أحمد م فاضل، الأهالي، دمشق، ط ١، ١٩٩٨، ص٤٩٩.

(١٦) اندرو ملر، **مختصر تاريخ الكنيسة**، مكتبة الإخوة، مصر، ط٣، ١٩٩٣، ج١، ص٩١، ٩٢.

(١٧) **قاموس الكتاب المقدس**، ص٨٨٩.

(١٨) بولس الفغالي، **المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم**، دار الكتاب المقدس، الموسوعة المسيحية العربية الالكترونية: www. albishara. Org.

(١٩) المرجع السابق نفسه.

(٢٠) لم يذكر بنيامين حداد في معجمه السرياني- العربي تسمية المسيحية عند ذكر اسم المسيح باللغة السريانية (مشيحا).

(٢١) **دائرة المعارف الكتابية** www. alkalema. com.

(٢٢) إبراهيم بطارسة، **أتباع المسيح مسيحيون ونصارى**، عمان، ١٩٩٨، ص٦.

(٢٣) إبراهيم بطارسة، ص٧.

(٢٤) أحمد عثمان، **العلاقة الجدلية بين التاريخ الطقوس المسيحي**، دار الوعي، بيروت، ط١، ١٩٩٧ ص٩٠.

(٢٥) إبراهيم بطارسة، ص٩.

(٢٦) **المرجع السابق**، ص٢٢.

(٢٧) **المرجع نفسه**، ص٩.

(٢٨) **المرجع نفسه**.

(٢٩) **المرجع نفسه**، ص١٩.

(٣٠) **المرجع نفسه**، ص١٥، وهذا العدد نفسه قد جاء في المزامير "سبع مرات في النهار سبحتك على أحكام برِّك" (١١٨:١٦٤) مما يؤكد مدى التناقض في إلحاق فرقة من فرق المسيحية باليهودية لتشابههم ببعض الجوانب الدينية.

(٣١) انظر: بطارسة، ص١٥.

(٣٢) **المرجع السابق**، ص١٥.

(٣٣) **المرجع نفسه**، ص١٦.

(٣٤) **المرجع نفسه**، ص٢١.

(٣٥) **المرجع نفسه**، ص٢٢.

(٣٦) **المرجع نفسه**، ص٢٣.

(٣٧) انظر: **قوجمان قامرس، عبري – عربي**، ص٥٦٣.

(٣٨) انظر: **المرجع نفسه**، ص٥٦٣.

(٣٩) **فضح التلمود**، ص٥٥ .

(٤٠) **المرجع السابق**، ص١٢٨.

(٤١) **المرجع نفسه**، ص٧٣، ٧٤.

(٤٢) **الكنز المرصود في فضائح التلمود** ترجمة: يوسف نصر الله، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧م، ص٩٣.

(٤٣) شاعر من سادات تميم من أهل العراق، توفي ٦٠٠م.

(٤٤) ديوان الأسود بن عفر النهشلي، تحقيق: نوري حمودة القيسي، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، د. ط، د. ت، ص٥٩. وجباها: ما اجتمع في حوضها من الماء، نفيع: اسم بئر .

(٤٥) من بني تغلب، كان شاعراً نصرانياً مقدماً وقد تفاخر بدينه في شعره كما في البيت المذكور توفي ٥٦٤م.

(٤٦) **موسوعة الشعر العربي**، اختارها وشرحها وقدم لها مطاع صفدي وايليا حاوي، التحقيق والتصحيح: أحمد قدامة، شركة الخياط للكتب والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٤، ج١، ص١٥١.

(٤٧) شاعر من شعراء العرب قبل الإسلام مجهول الميلاد والوفاة.

(٤٨) أبى سعيد الحسن بن الحسين السكري، **شرح أشعار الهذليين**، حققه عبد الستار أحمد فراج، دار التراث، القاهرة، د. ط، د. ت، ج١، ص٢٩٧.

(٤٩) الأب جرجس داود، ص٢٦٩.

(٥٠) عماد الدين أبى الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر، ج١، ص٣٦٩.

(٥١) ابن هشام، **سيرة**، ج١، ص٣٢.

(٥٢) **المرجع السابق**، ج١، ص٢٢٩.

(٥٣) ابن كثير، ج١، ص٣٦٩.

(٥٤) **المرجع السابق**، ص٣٦٩.

(٥٥) ابن هشام، ج١، ص٣٤.

(٥٦) **المرجع السابق**، ج١، ص٣٥.

(٥٧) ابن هشام، ج١، ص ٣٦.

(٥٨) **المرجع السابق**، ج١، ص٣٧.

(٥٩) كما ذكر القرآن في آية واحدة تسمية (نصرانيا) في سورة (آل عمران ٦٧).

(٦٠) الإمام أبي القاسم جار الله الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التأويل وعيون الأقاويل في التأويل**، ضبطه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ج١، ص١٤٨.

(٦١) القاسمي، **محاسن التأويل**، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م، ط١، ص١٤٣.

(٦٢) برهان الدين البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ج١، ص١٦٤.

(٦٣) القُمي، **تفسير كنز الدقائق**، ج١، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، ١٤١٤هـ، ص٢٦٤.

(٦٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٥م، ج١، ص٥٣٣.

(٦٥) فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ج١، ص٤٣٣.

(٦٦) فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير**، ج٢، ص١٠٥ .

(٦٧) الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ج١، ص١١١.

(٦٨) القرطبي، ج١، ص٢٩٤.

(٦٩) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص٤٠١.

(٧٠) النسفي، أبو البركات عبد الله، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، دار الكتب، ج١، ص٥٢.

(٧١) شهاب الدين أبي عباس، **الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ج١، ص٢٤٧، وانظر أيضاً: القرطبي، ج١، ص٤٣٣.

(٧٢) ابن كثير، ج٢، ص٨٢.

(٧٣) القرطبي، ج٩ ص١٠٨.

(٧٤) الرازي، **التفسير**، ج١، ص٤٣٤.

(٧٥) **تفسير الرازي**، ج٤، ص٢٠٨.

(٧٦) الطبري، ج٦، ص٤٣. ج٩، ص١٢٦-١٣٢.

(٧٧) انظر: أحمد محمد علي الجمل، **القرآن ولغة السريان**، بحث منشور في مجلة كلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر عدد ٤٢ لسنة ٢٠٠٧م. ص٥-٨ . وانظر: **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها**، أحمد بن زكريا بن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة عيسى الحلبي، القاهرة ١٩٩٧م، ص٤٥ .

(٧٨) ابن عثيمين، **المناهي اللفظية**، انظر: quran. maktoob. Com.

(٧٩) ساجد مير، **المسيحية "النصرانية" دراسة وتحليل**، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٢م، ص٧.

(٨٠) داود علي الفاضلي، **أصول المسيحية كما يصورها القرآن**، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٦، ص١٧.

(٨١) **المرجع السابق**، ص١٨ .

(٨٢) **المرجع نفسه**، ص١٨ .